الإلحاد

عناصر الموضوع

مفهوم الإلحاد	٢٢٢
الإلحاد في الاستعمال القرآني	٢٢٣
الألفاظ ذات الصلة	٢٢٤
صور الإلحاد في ضوء القرآن	٢٢٦
أسباب الإلحاد	٢٤٤
منهج القرآن في إبطال الإلحاد	٢٤٧
آثار الإلحاد على الفرد والمجتمع	٢٥١

Made searchable using ScribeTools.com

مفهوم الإلحاد

أولًا: المعنى اللغوي:

مادة (ل ح د) تدل على معنى ميل عن استقامة، فيقال: (لحد السهم عن الهدف)، أي: عدل عنه، واللحد: حفرة مائلة عن الوسط، وفلان عدل عن الحق وأدخل فيه ما ليس منه، ويقال: (ألحد إليه)، مال عنه، وألحد الرجل، أي: ظلم في الحرم واستحل حرمته وانتهكها، ولحد الرجل في الدين، طعن وحاد عنه وعدل وجادل وماری، ولحد. أي: مال عن طريق القصد، وجار وظلم[1].

والملحد: «الطاعن في الدين المائل عنه»[2].

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

هو: «الميل، والجور، والانحراف عن الإسلام، أو الإيمان»[3].

وقد عرفه ابن عاشور بقوله: «لما كان وسط الشيء يشبه به الحق والصواب، استتبع ذلك تشبيه العدول عن الحق إلى الباطل بإلحاد، فأطلق الإلحاد على الكفر والفساد»[4].

والمعنى الاصطلاحي لا يخرج عن المعنى اللغوي إلا أنه خص بالانحراف في الإسلام.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٥/ ١٩٠، مختار الصحاح، الرازي ص٢٤٧، لسان العرب، ابن منظور ٣/ ٣٣٨، المصباح المنير، الفيومي ص٣٢٧.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢/ ٨٥٠.

(٣) انظر: التفسير المنير، الزحيلي ٩/ ١٧٢.

(٤) التحرير والتنوير ٩/ ١٨٩.

الإلحاد في الاستعمال القرآني

ورد الجذر (ل ح د) في القرآن (٦) مرات، منها مادة (ألحد) (٤) مرات[١].

والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل المضارع	٣	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف:١٨٠]
المصدر	١	﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج:٢٥]

وجاء الإلحاد في القرآن بمعناه في اللغة وهو: الميل عن الحق[٢].

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٦٤٥.
(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، ص٧٣٧.

Made searchable using ScribeTools.com

الألفاظ ذات الصلة

١ الردة:

الردة لغةً:

«من ردد بمعنى: رجع، وارتد الشخص، أي: رد نفسه إلى الكفر»[١].

الردة اصطلاحًا:

«الرجوع من الإسلام إلى الكفر»[٢].

الصلة بين الإلحاد والردة:

الإلحاد هو زيغ وانحراف وميل عن الحق، والردة تكون بالنكوص والرجوع عن الإسلام، فهما مشتركان في الكفر.

٢ الكفر:

الكفر لغةً:

الستر والتغطية، يقال لمن غطى درعه بثوب: قد كفر درعه، والمكفر: الرجل المتغطي بسلاحه، وهو ضد الايمان، لأنه تغطية للحق[٣].

الكفر اصطلاحًا:

«الجحود بالوحدانية أو النبوة، أو الشريعة، أو بثلاثتها»[٤].

الصلة بين الإلحاد والكفر:

الكفر هو إنكار وجحود الإيمان، والإلحاد صورة من صور الكفر.

---

(١) المصباح المنير، الفيومي ص١٣٧.
(٢) المفردات، الراغب الأصفهاني ص٢١٣.
(٣) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٥/ ١٩١.
(٤) انظر: المفردات، الأصفهاني ص٤٧٩، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢/ ٧٩١.

٣ الزيغ:

الزيغ لغةً:

«الزيغ: الميل عن الاستقامة، والتزايغ: التمايل، ورجل زائغ وقوم زاغة وزائغون، وزاغت الشمس، وزاغ البصر»[(١)].

الزيغ اصطلاحًا:

الميل عن الحق إلى الباطل، والتحول من الإيمان إلى الكفر.

الصلة بين الإلحاد والزيغ:

كلاهما يشترك في الانحراف عن الحق، والتشكك في الإيمان وأصوله.

٤ الاستقامة:

الاستقامة لغةً:

«الاعتدال»[(٢)].

الاستقامة اصطلاحًا:

هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة وترك المنهيات كلها كذلك[(٣)].

الصلة بين الإلحاد والاستقامة:

الإلحاد ميل عن الحق ومفارقته، والاستقامة الديمومة على الحق والبقاء عليه ولزومه، فالاستقامة تعني: الاعتدال، والإلحاد يعني: الانحراف فهما متضادان.

---

(١) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص٢٤٠، مختار الصحاح، الرازي ص١١٨، المصباح المنير، الفيومي ص١٥٨.
(٢) مختار الصحاح، الرازي ص٢٣٢.
(٣) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ص ١٩٣.

Made searchable using ScribeTools.com

صور الإلحاد في ضوء القرآن

تعددت صور ومعاني الإلحاد في القرآن الكريم، وأبرز صور الإلحاد في القرآن الكفر والشرك والردة والنفاق، والإلحاد ضربان، وهما «إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب، فالأول ينافي الإيمان ويبطله، والثاني يوهن عراه ولا يبطله»(١)، والإلحاد له صور وأشكال متعددة كلها تصب في معاني الانحراف العقدي والسلوكي والتعبدي، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولًا: الإلحاد في الألوهية:

توحيد الألوهية حق لله وحده، ولا يحل لعبده أن يشرك معه غيره، فهو أغنى الشركاء عن الشرك، والإلحاد في ألوهيته هو ظلم وجور وتجاوز خطير في حق الخالق سبحانه.

قال تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

«هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

وقوله: ﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾ أي: وحدني وقم بعبادتي من غير شريك، وصل لتذكرني. وقيل: معناه: وأقم الصلاة عند ذكرك لي»(٢)، جمعت الآية أصول توحيد الألوهية وهي توحيده وعبادته، فتوحيد الألوهية: «هو إفراد الله تعالى بالعبادة المستلزم لعبادة الله تعالى بكل ما شرع أن يعبد به من أعمال القلوب والجوارح، وأن لا يشرك معه غيره في شيء منها، مع عدم الاعتراف بعبادة غيره تعالى»(٣) وأصل الخلق إلحادًا في الألوهية هم أهل الكتاب، والمشركون، والفرق الضالة الخارجة عن دين الإسلام.

وقد أورد القرآن الكريم قصص الأنبياء والمرسلين مع أقوامهم، وما من نبي ولا رسول إلا وأمر قومه بعبادة الله وإفراده بالعبادة.

قال تعالى عن الرسل في دعوتهم لأقوامهم: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وقال: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ

(١) المفردات، الراغب الأصفهاني ص٤٩٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/ ٢٧٧.

(٣) عقيدة المؤمن، الجزائري ص١٠٢.

﴿غَيْرُهُۥ﴾[الأعراف: ٨٥].

هذه الدعوات قابلها أقوام الأنبياء والمرسلين بالصد والإساءة، إلا من رحمه الله بالإيمان بما جاء به الأنبياء، ومن صور رد هذه الدعوات والإلحاد فيها:

أولًا: إلحاد المشركين في الألوهية:

لقد بلغت عقول المشركين من السفاهة والانحطاط الفكري مبلغًا كبيرًا في الفساد والإلحاد في الألوهية، حتى عبدوا الحجارة من دون الله.

ومن صور إلحادهم في الألوهية:

١. عبادة الأصنام:

من أكبر إلحاد المشركين عبادتهم للأصنام من دون الله، مع علمهم عدم نفعها ولا ضرها.

قال تعالى: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢].

أي: «معتكفون على عبادتها»(١)، فكانوا يعبدون الأصنام ويجعلونها في بيوتهم، وفي حلهم وترحالهم، بل جعلت قريش الأصنام داخل الحرم المكي وداخل الكعبة، ولعظم إلحادهم في الألوهية قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾[الفرقان: ٣].

وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

«كان المسلمون إذا قالوا لهم: من خلق السماوات والأرض؟ أقروا، وقالوا: الله، فإذا قالوا لهم: فما لكم تعبدون الأصنام؟ قالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى»(٢)، وهذا يمثل الذروة في الميل، والعوج، والزيغ عن الحق لعلمهم بذلك.

٢. نسبة الملائكة والجن لله:

ألحد المشركون في نسبة الولد لله بادعائهم أن الملائكة هم بنات الله، وكانوا يعبدونهم؛ لينالوا الشفاعة عند الله بزعمهم وإلحادهم في الله.

فقال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝١٥٨ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨-١٥٩].

أي: «إن كفار قريش قالوا: الملائكة بنات الله، والجنة: صنف من الملائكة يقال لهم: الجُنَّة»(٣).

٣. عبادة الملائكة:

اتخذ المشركون عبادتهم الملائكة ليكونوا وسطاء وشفعاء لهم عند الله فقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ٣.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ٤/ ١١١.
وانظر: مدارك التنزيل، النسفي ٣/ ١٦٩.

(٣) زاد المسير، ابن الجوزي ٣/ ٥٥٤.

Made searchable using ScribeTools.com

أي: «ولا يأمركم أن تعبدوا الملائكة والنبيين؛ لأن الذين قالوا: إن عيسى إله، عبدوه واتخذوه ربًا، وقال قوم من الكفار: إن الملائكة أربابنا، يقال لهم: الصابئون»[1].

٤. إلحاد العبادات:

ابتدعوا صلاة لهم ودعاءً بالتصفيق والتصفير إلحادًا وزيغًا عما شرعه الله من الصلاة والدعاء.

فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٥].

أي: وما كان دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة، أو ما يضعون موضعها، إلا مكاءً صفيرًا، وتصديةً تصفيقًا، وقيل: كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء، مشبكين بين أصابعهم، يصفرون فيها ويصفقون[2]، والعبادات بهذه الكيفية التي لم يأذن بها الله إلحاد في الألوهية.

٥. التحريم والتحليل:

سلك المشركون في ذبائحهم وأنعامهم إلى إلحاد في التحليل والتحريم حسب أهوائهم وميلهم في الذبح، والأكل، والتوريث دون الاستناد لشريعة ربانية، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأنعام: ١٣٨-١٣٩].

أي: إنهم حرموا أنعامًا وحرثًا وجعلوها لأصنامهم، أو لخدام الأصنام، وهذا قول وفعل لم يرد به شرع، وجعلوا ما في بطونها من اللبن أو الأجنة حلالًا للذكور، وحرامًا على الإناث[3]، وهذا من جورهم وظلمهم، واعتدائهم على حق الله في التحليل والتحريم.

ثانيًا: إلحاد أهل الكتاب:

تعددت صور إلحاد أهل الكتاب في الألوهية، وسطرها القرآن الكريم في العديد من الآيات.

ومن صور إلحاد أهل الكتاب من اليهود والنصارى:

١. تأليه عزير وعيسى عليه السلام:

ألـهت اليهود العزير، وألهت النصارى عيسى عليه السلام وادعوا بنوتهما إلى الله إلحادًا عن دين الله، فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ

---

(١) الوسيط، الواحدي، ١/ ٤٥٧.

(٢) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، ٣/ ٥٨.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٧/ ٩٤.

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: ٣٠].

وسبب نزول هذه الآية أن ابن عباس قال: «أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفي، ومحمد بن دحية، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عزيرًا ابن الله فأنزل الله الآية»[١].

٢. عبادة الأحبار والقساوسة:

استجاب أهل الكتاب لأحبارهم وقساوستهم لما أحلوا لهم من الحرام ما أحلوه، وحرموا ما حرموه عليهم، فكانت هذه عبادتهم لهم.

قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم عبادتهم بتحليل الحرام وتحريم الحلال، **فعن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: (يا عدي اطرح عنك هذا الوثن، وسمعته يقرأ في سورة براءة** ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ **قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه)**[٢].

٣. رد حكم الله:

تعطيل ورد حكم التوراة من صور إلحاد اليهود والنصارى في حكم الله والإعراض عنه، فقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

أي: «أيريد أولئك الخارجون عن أمر الله ونهيه أن يحكموا بأحكام الجاهلية التي لا عدل فيها، بل الهوى هو الذي يحكم بأن يجعلوا أساس الحكم الميل والمداهنة؟ وهذه هي طريقة أهل الجاهلية»[٣].

٤. نسبة بنوتهم لله:

نسب اليهود أنفسهم ببنوتهم لله تعالى وادعائهم محبته ظلمًا وبهتانًا، فذكر الله قولهم، فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي، ص١١٥.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ١٠ من سورة التوبة، ٥/ ٢٧٨، رقم ٣٠٩٥.
وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم ٣٢٩٣.

(٣) المنتخب في تفسير القرآن، نخبة من علماء الأزهر، ١/ ١٥٥.

Made searchable using ScribeTools.com

﴿يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ﴾ [المائدة: ١٨].

وسياق الآية أبرز وأوضح إلحاد وضلال اليهود والنصارى معًا، وهو «دعواهم أنهم ﴿أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾، وهو تبجح وسفه وضلال، فأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم بقوله: قل لهم يا رسولنا: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ﴾»(١)، وفي هذا تبكيت لهم، وتهديد ووعيد لإلحادهم في ألوهيته سبحانه.

ومن صور إلحاد أهل الكتاب الخاصة بشرائعهم:

إلحاد اليهود في الألوهية:

ورد في القرآن الكريم بعض صور إلحاد اليهود في الألوهية، التي تبرز وتوضح زيغ وانحراف وضلال اليهود، ومن هذه الصور:

١. تبديل كلام الله وتحريفه:

ومن إلحاد اليهود تحريفهم كلام الله وتبديله؛ افتراءً، وميلًا وعدولًا عن الحق، فوصفهم الله بقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ﴾ [المائدة: ٤١].

أي: إن إقدام القوم على التحريف لا بد وأن يكون لخوف ورهبة، أو لطمع ورغبة، والمقصد والمراد: إياكم وأن تحرفوا كتابي للخوف من الخلق والملوك والأشراف، فتعطلوا الحدود الواجبة عليهم واختلاقكم الحيل في سقوط تكاليف الله تعالى عنهم، والزيغ عن الحق(٢).

٢. عبادتهم العجل:

قال تعالى عن عبادتهم لعجل السامري الذي صنعه لهم وأمامهم من حليهم: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

«يخبر تعالى عن ضلال من ضل من بني إسرائيل في عبادتهم العجل الذي اتخذه لهم السامري من الحلي، فشكل لهم منه عجلًا جسدًا لا روح فيه وقد احتال بإدخال الريح فيه حتى صار يسمع له خوار، أي: صوتٌ كصوت البقر»(٣)، وعبادة جسد مصنوع من الذهب وهو لا يملك نفعًا ولا ضرًا هو إلحاد قبيح.

قولهم وفعلهم هذا يستحقون بسببه التقريع والتوبيخ، أي: كيف عبدوا العجل واتخذوه إلهًا مع أنه ليس فيه شيء(٤).

وبهذا الإلحاد استوجبوا عقاب الله تعالى وغضبه عليهم لانحرافهم وزيغهم في حقه تعالى فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ

(١) أيسر التفاسير، الجزائري، ١/ ٦١٣.
(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ١٢/ ٣٦٧.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٤٢٧.
(٤) صفوة التفاسير، الصابوني ١٧/ ٤٣٧.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

٣. طلبهم الإلهة:

قال تعالى واصفًا إلحادهم في طلب الإله: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

«كان أولئك القوم من لخم، وكانوا نزولًا بالرقة وقيل: كانت أصنامهم تماثيل بقر، ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ نظيره قول جهال الأعراب -وقد رأوا شجرة تسمى ذات أنواط يعظمونها في كل سنة يومًا-: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط»(١).

إلحاد النصارى في الألوهية:

لم يكن النصارى بعيدين عن اليهود في إلحادهم في الألوهية بل قاربوا اليهود في ضلالهم وانحرافهم وزيغهم عن الحق، ومن صور إلحاد النصارى في الألوهية:

١. تأليه المسيح:

ألحد النصارى في جعل المسيح عيسى عليه السلام إلهًا من دون الله، فقال تعالى عن إلحادهم في ألوهيته: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[المائدة: ١٧].

«يقول تعالى مخبرًا وحاكيًا بكفر النصارى في ادعائهم في المسيح ابن مريم، وهو عبد من عباد الله، وخلقٌ من خلقه أنه هو الله، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا»(٢).

وهذا القول من أضل صور الإلحاد في الألوهية، وبه أضلوا أتباعهم «وهو كفر من أقبح أنواع الكفر، وهذا وإن لم يكن قول أكثر النصارى فإنهم بانتمائهم إلى النصرانية وقولهم بها وانخراطهم في تعاليمها يؤاخذون به؛ لأن الرضا بالكفر كفر»(٣).

٢. الشرك بالله:

ومن إلحاد النصارى عقيدة التثليث -الأب والابن وروح القدس- بنسبة الشريك لله، فذكر الله كفرهم وإلحادهم فقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾

[المائدة: ٧٣].

أي: «أرادوا بذلك أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة، فقوله ثالث ثلاثةٍ، أي: أحد ثلاثة آلهة، أو واحد من ثلاثة آلهة»(٤).

ووصف الله بهذه الصورة إلحاد وزيغ واضح وبين في الألوهية -تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا-.

٣. تعطيل حكم الله:

أمر الله النصارى بالاحتكام إلى الإنجيل،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١/ ٢٧٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/ ٦١.

(٣) أيسر التفاسير، الجزائري، ١/ ٦١٢.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٢/ ٤٠٨.

وانظر: الوسيط، الواحدي، ٢/ ٢١٣.

Made searchable using ScribeTools.com

فألحدوا فيه وزاغوا عنه بالاحتكام لغير منهجه، فقال تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧].

وفي الآية «إشارة إلى الكهان الذين كانوا يأخذون الحلوان ويحكمون بحسبه وبحسب الشهوات»[١].

ثالثًا: إلحاد الفرق الضالة في الألوهية:

ضج التاريخ الإسلامي بالفرق الضالة التي اتبعت غير سبيل المؤمنين، فمنها التي ألهت علي بن أبي طالب أو الحاكم بأمر الله الفاطمي وغيرهما من الباطنية، وحكمت شرع الجاهلية، وعطلت حكم الله، وأحلت الحرام وحرمت الحلال وغير ذلك، ومن صور الإلحاد عند الفرق الضالة في الألوهية:

١. تحريم الحلال وتحليل الحرام:

التحليل والتحريم حق لله وحده ولا يجوز لأحد أن يحرم ما أحله الله أو يحل ما حرمه الله، فمن فعل ذلك فقد ألحد في ألوهية الله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

والآية تعني: «لا تقولوا لوصف ألسنتكم أو لأجل وصفكم الكذب أنكم تحلون وتحرمون لأجل الكذب لا لغيره، هذا حلال وهذا حرام، يعني البحيرة والسائبة؛ لتفتروا على الله الكذب، فتقولون إن الله أمرنا بهذا»[٢].

ومن أشكال التحريم والتحليل والكذب على الله إصدار الفتوى بغير علم أو لتحقيق هدف أو انتصار لمذهب أو تزلف لسلطان أو حاكم.

٢. الإلحاد في الحاكمية:

تعتبر الحاكمية من أخص صفات الألوهية؛ لذا قال الله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩-٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

فأما قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وقوله

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية، ٢/ ٢٠٣.

(٢) معالم التنزيل، البغوي، ٣/ ١٠١.

تعالى بعدها: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[المائدة: ٤٥].
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[المائدة: ٤٧].

فقد تباينت آراء العلماء فيمن نزلت على خمسة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في اليهود خاصة.

والثاني: أنها نزلت في المسلمين.

والثالث: أنها عامة في اليهود، وفي هذه الأمة.

والرابع: أنها نزلت في اليهود والنصارى.

والخامس: أن الأولى في المسلمين، والثانية في اليهود، والثالثة في النصارى.

وخلاصة القول: إن من لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا له، وهو يعلم أن الله أنزله، كما فعلت اليهود، فهو كافر، ومن لم يحكم به ميلًا إلى الهوى من غير جحود، فهو ظالم وفاسق[(١)].

وفي جميع هذه الحالات الحكم بغير ما أنزل الله هو إلحاد وانحراف وعوج عن دين الله تعالى وحكمه وشرعه.

وختامًا فالإلحاد في الألوهية عند أهل الكتاب والمشركين والفرق الضالة له صور كثيرة غير ما أسلفنا، ومنها صرف القلوب بالخشية والخوف والحب والرجاء والنذر والذبح والركوع والسجود وما شابه لغير الله.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[البقرة: ١٦٥].

أي: «ومن الناس من تبلغ بهم الجهالة أن يتخذ من غير الله أندادًا، أي: رؤساء وأصنامًا، يعظمونهم ويخضعون لهم»[(٢)].

٣. الإلحاد في أسماء الله وصفاته:

لقد سمى الله نفسه في القرآن الكريم بأسماء، ووصف نفسه بصفات لا تصح لغيره سبحانه تنزهت أسماؤه وعلت صفاته، فالأسماء الحسنى لا تكون إلا لله، والصفات العلى له، وهي محصورة ومقصورة على الله، ويجب أن تكون موصوفة بالحسن والكمال والجمال والجلال، وأي تعطيل أو تكييف أو تمثيل أو تشبيه فيها هو ضرب من ضروب الإلحاد.

وقد جعل الله «الإلحاد في أسمائه مظهرًا من مظاهر الكفر، وذلك بإنكار تسميته تعالى بالأسماء الدالة على صفات ثابتة له، وهو الأحق بكمال مدلولها»[(٣)].

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

«والمراد من الأسماء في الآية وأحاديث

---

(١) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ١/ ٥٥٣.

(٢) صفوة التفاسير، الصابوني، ١/ ٩٩.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٩/ ١٨٩.

Made searchable using ScribeTools.com

الرسول: التسميات بلا خلاف، وهي عبارات عن كون الله تعالى على أوصاف شتى، منها ما يستحقه لنفسه، ومنها ما يستحقه لصفة تتعلق به، ومنها صفات لذاته، ومنها صفات أفعال، وهذه الأسماء عند العلماء توقيفية، فلا يسمى باسم لم يرد في القرآن والسنة كالرفيق والسخي والعاقل»[1].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن لله تسعةً وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**)[2].

ومعنى أحصاها: «عدها وحفظها وتفكر في مدلولها»[3].

وقد سمى الله نفسه ووصف ذاته قائلًا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه: ٨].

وقال: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[الأنعام: ١٠٣].

وقال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

هذه الشواهد تبرز بمعنى واضح لا لبس فيه بتسمية الله نفسه بأسماء مثل الله، اللطيف، الخبير، السميع، البصير كما في الآيات السابقة وغيرها، وكذا الصفات السميع والبصير، وعدم وجود الشبيه أو المثيل له وأي ميل أو زيغ أو انحراف عنها هو إلحاد في أسمائه وصفاته تعالى.

ووردت عدة أقوال في الإلحاد في أسماء الله وصفاته ومنها:

قول الراغب الأصفهاني: «الإلحاد في أسماء الله على وجهين:

أحدهما: أن يوصف بما لا يصح وصفه به.

والثاني: أن يتأول أوصافه على ما لا يليق به»[4].

وقال الزحيلي: «والإلحاد يكون بثلاثة أوجه:

أحدها: بالتغيير فيها كما فعله المشركون، وذلك أنهم عدلوا بها عما هي عليه، فسموا بها أوثانهم، فاشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان.

الثاني: بالزيادة فيها، أي: التشبيه، فالمشبهة وصفوه بما لم يأذن فيه.

الثالث: بالنقصان منها، أي: التعطيل، فالمعطلة سلبوه ما اتصف به، كما يفعل الجهال الذين يخترعون أدعية يسمون فيها الله تعالى بغير أسمائه، ويذكرونه بغير ما

(١) التفسير المنير، الزحيلي ٩/ ١٧٤.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدًا، ٦/ ٢٦٩١، رقم ٦٩٥٧.
(٣) التفسير المنير، الزحيلي، ٩/ ١٧٣.

(٤) المفردات ص٤٩٥.

يذكر من أفعاله، وهكذا»[1].

خلاصة هذه الأقوال: إن الإلحاد في أسماء الله وصفاته يكون بالزيادة عليها أو إنقاصها، أو تبديلها وتغييرها والاشتقاق منها.

والتعطيل والتحريف والتمثيل والتكييف في أسماء الله وصفاته أوقع المشبهة والمعطلة في الضلال والإلحاد في أسماء الله وصفاته، ووجه ذلك أن الأسماء: «ألفاظ دالة على المعاني، فهي إنما تحسن بحسن معانيها ومفهوماتها، ولا معنى للحسن في حق الله تعالى إلا ذكر صفات الكمال ونعوت الجلال، وهي محصورة في نوعين: عدم افتقاره إلى غيره، وثبوت افتقار غيره إليه»[2].

ونفي معاني الأسماء الحسنى من أقبح وأفحش معاني الإلحاد في أسماء الله الحسنى.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

أي: «نفي معاني أسماء الله من أعظم الإلحاد»[3].

وممن ألحد في أسماء الله وصفاته أهل الكتاب والمشركون وغيرهم.

أولًا: إلحاد المشركين في أسماء الله وصفاته:

ورد في القرآن الكريم العديد من صور إلحاد المشركين في أسماء الله وصفاته ومنها:

١. اشتقاق المشركين أسماء لآلهتهم من أسمائه سبحانه:

نسب المشركون بعض أسماء الله إلى آلهتهم ظلمًا وافتراء على الله ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ «يميلون عن الحق، حيث اشتقوا منها أسماء لآلهتهم، كاللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة: من المنان»[4].

وفي ذلك قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ [النجم: ١٩-٢٣].

«اللات وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله، فقالوا: اللات، يعنون مؤنثة منه، -تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا-، وكذا العزى من العزيز، وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها

(١) التفسير المنير، الزحيلي، ٩/ ١٧٤.
(٢) المصدر السابق، ٩/ ١٧٥.
(٣) الإيمان بالله جل جلاله، الصلابي ص١١٥.
(٤) التفسير المنير، الزحيلي ٩/ ١٧١.

Made searchable using ScribeTools.com

ويهلون منها للحج إلى الكعبة»[1].

٢. إنكارهم اسم الرحمن:

لم يعترف المشركون باسم الله الرحمن زعمًا منهم أنهم لا يعرفونه بهذا الاسم، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

«أي: هذه الأمة التي بعثناك فيهم يكفرون بالرحمن لا يقرون به؛ لأنهم كانوا يأنفون من وصف الله بالرحمن الرحيم، ولهذا أنفوا يوم الحديبية أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم، وقالوا: ما ندري ما الرحمن الرحيم»[2]، وقيل: «سمع أبو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو في الحجر ويقول: (يا الله يا رحمن)، فقال: كان محمد ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إلهين، فنزلت هذه الآية، ونزل ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾[الإسراء: ١١٠].

ثانيًا: إلحاد اليهود في أسماء الله وصفاته:

ورد في القرآن الكريم بعض صور إلحاد اليهود في أسماء الله وصفاته، مما يسفر عما في قلوبهم من زيغ وانحراف وضلال.

ومن هذه الصور:

١. وصفوا الله بالفقر:

وصف الله نفسه في القرآن الكريم بأنه الغني والمعطي والكريم، وألحد اليهود في اسمه الغني وصفته، وسموه ووصفوه بالفقير، فقال الله تعالى عن إلحادهم: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[آل عمران: ١٨١].

«قيل: نزلت هذه الآية في اليهود. قالوا لما نزل قوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[البقرة: ٢٤٥]: إن الله فقير يستقرضنا ونحن أغنياء»[3].

٢. وصفوا الله بالبخل:

ذكر الله إلحاد اليهود في صفاته وتعديهم على ذاته الإلهية بوصفهم الله بالبخل -تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا-، وهو الجواد الكريم المعطي، فحقت عليهم اللعنة.

فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ...﴾[المائدة: ٦٤].

«عن ابن عباس أنه قال: ليس يعنون بذلك أن يد الله موثقة، لكنهم يقولون: إنه

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٤٢٢- ٤٢٣.

(٢) المصدر السابق، ٤/ ٣٩٦.

(٣) الوسيط، الواحدي، ١/ ٥٢٨.

بخيل أمسك ما عنده، -تعالى ربنا عما يقول الظالمون-»[1].

ثالثًا: إلحاد الفرق الضالة في أسماء الله وصفاته:

ألحدت بعض الفرق التي تدعي الإسلام في أسماء الله وصفاته إما بالنفي أو التشبيه «فمن نفى عنه ما وصف به نفسه، وسماها به من أسماء فقد كفر، ومن شبه تلك الأسماء والصفات بأسماء وصفات المحدثين فقد كفر وأشرك»[2].

ومن صور إلحاد الفرق الضالة ممن يدعون الإسلام:

التأويل:

فيؤولون «استواء الله تعالى على العرش بالاستيلاء فرارًا من وصف الله تعالى بالاستواء على عرشه، وتأويل صفة العلو بالقهر فرارًا من وصف الجهة والتحيز»[3].

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

«أولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، وأما أهل السنة فيقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالى، بلا كيف، يجب على الرجل الإيمان به، ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل»[4].

فلا يحل أن يسمى الله أو يوصف بما لا يليق به، ومن وقع في ذلك فقد ألحد في أسماء الله وصفاته.

ثانيًا: الإلحاد في الكتب المنزلة:

تعرضت الكتب السماوية الأولى للعديد من صور التحريف والتكتم والنكران من أهل الكتاب.

قال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩﴾ [البقرة: ٧٩].

ومن رحمة الله بهذه الأمة تنزيل القرآن الكريم، والذي تكفل الله بحفظه، وكشف ما ألحده أهل الكتاب في كتبهم الأولى، ومنها:

أولًا: إلحاد المشركين في كتاب الله:

من صور إلحاد المشركين في القرآن والتشكيك والطعن فيه:

١. نسبة القرآن للسان أعجمي:

ألحد المشركون في القرآن بأن نسبوه

(١) أخرجه الطبري في تفسيره، ١٠/ ٤٥٢.
(٢) عقيدة المؤمن، الجزائري ص١١٠.
(٣) المصدر السابق ص١١٠.
(٤) معالم التنزيل، البغوي ١/ ٥٧٣.

Made searchable using ScribeTools.com

لنصراني أعجمي يلقيه على النبي صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

«فمعنى يلحدون: يميلون عن الحق، فهم يتركون الحق القويم من أنه كلام منزلٌ من الله إلى أن يقولوا يعلمه بشر، فذلك ميل عن الحق، وهو إلحاد»[(١)].

فهم يلحدون في نسبة كلام الله الذي يتلوه عليهم النبي إلى لسان رومي أعجمي، وكلام الله نزل بلسان عربي، والله قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣].

أي: «أنزلناه بلغة العرب فصيحًا واضحًا، حتى تفهمونه وتتدبرونه»[(٢)]، فنسبة القرآن للعجمية إلحاد وزيغ عن وصفه قرآنًا عربيًا.

٢. الكذب على الله.

ومثاله قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

قال القرطبي: «والمعنى في هذه الآية ما سمى الله، ولا سن ذلك حكمًا، ولا تعبد به شرعًا»[(٣)].

فالكذب في سن أحكام ونسبة ذلك لله تعالى، إلحاد في التشريع.

ثانيًا: إلحاد أهل الكتاب في الكتب المنزلة:

فضح القرآن الكريم إفساد اليهود والنصارى في كتبهم وإلحادهم فيها، بالتحريف أو الإنكار أو التأويل الفاسد، ومن صور إلحاد أهل الكتاب في التوراة والإنجيل:

١. الكفر بآيات الله:

ذكر الله كفر أهل الكتاب بآياته فقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨].

وقال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

أي: «يكفرون بآيات الكتب المتلوة مطلقًا، أو التوراة أو آيات منها كالآيات التي فيها صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو التي فيها الرجم أو القرآن، وفي إضافة الآيات إلى اسمه تعالى زيادة تشنيع عليهم، وبدأ سبحانه بكفرهم بآياته؛ لأنه أعظم كل

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٤/ ٢٨٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٢١٨.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٦/ ٣٣٥.

عظيم»[1].

٢. تحريف الكلم عن مواضعه:

قال تعالى فاضحًا بعض خبايا اليهود القذرة، ومنها إلحادهم في كلامه سبحانه بتحريفه: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْ﴾ [المائدة: ٤١].

وقال تعالى عنهم مرة ثانية: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣].

أي: إن اليهود كانوا «﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ أي: يتأولونه على غير تأويله، ويبدلونه ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

ومن أمثلتها قال تعالى لهم: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٨ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٨-٥٩].

أمرهم الله تعالى «أن يدخلوها سجدًا...، علامة على التواضع والخشوع، ويقولوا: حطة... أي: حط عنا ذنوبنا واغفر لنا، دخلوها على غير الهيئة التي أمروا بها، وقالوا قولًا آخر غير الذي أمروا به»[2]، «فقد بدلوا الحطة بالحنطة والحنطة هي القمح»[3] وقالوا: «حبة في شعرة»[4]، ومن تحريفهم للكلم قوله تعالى عنهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [البقرة: ١٠٤].

وتحريفهم الكلم جاء بعد عقلهم إياه وعلمهم به مبالغة في إلحادهم وزيغهم.

قال تعالى: ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

والاستفهام هنا «للاستبعاد أو للإنكار التوبيخي»[5]؛ لإلحادهم القبيح في كتبهم.

٣. إخفاء وكتمان الآيات والأحكام:

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

أي: «﴿فَنَبَذُوهُ﴾ أي: الميثاق، ﴿وَرَآءَ

(١) روح المعاني، الألوسي، ١/ ٣٤٣.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/ ٧٣.

(٣) تفسير الشعراوي، ١/ ١٩٦.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، ٤/ ١٦٢٧، رقم ٤٢٠٩.

(٥) روح المعاني، الألوسي، ١/ ٣٧٣.

Made searchable using ScribeTools.com

﴿ظُهُورِهِمْ﴾ فلم يراعوه ولم يلتفتوا إليه، وهذا مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات»[1].

ومنها إخفاؤهم وكتمانهم آية وحكم رجم الزاني، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «**إن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلًا منهم وامرأةً زنيا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟). فقالوا: نفضحهم ويجلدون. قال عبد الله بن سلام: كذبتم، إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك فرفع يده، فإذا آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما، فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة**»[2].

٤. تجزئة الكتاب وتقسيمه:

فرق أهل الكتاب بين أحكام الله، فقبلوا ما ناسب أهواءهم وردوا ما خالفها.

فقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

لذا حذر الله تعالى المؤمنين من الإيمان ببعض الكتاب ورد بعضه كما فعل اليهود والنصارى فقال: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩٠-٩١].

«أي: قسموه إلى حق وباطل حيث قالوا عنادًا وعداوة، بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما»[3].

فمن يفعل فعلهم من المسلمين بتجزئة القرآن وأخذ بعض أحكامه وترك بعضها فهو إلحاد في القرآن، مشابهة لليهود والنصارى.

٥. نكران نبوة محمد صلى الله عليه وسلم:

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

﴿رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ **يعني: «محمدًا صلى الله عليه وسلم، جاء بالقرآن بصدق التوراة في الأخبار والأقاصيص، ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ بالإيمان والنصرة له، وقبلتم؟**

(١) أنوار التنزيل، البيضاوي، ٢/ ٥٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله إلى العربية، ٩/ ١٥٨، رقم ٧٥٤٣، ومسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا، ٣/ ١٣٢٦، رقم ١٦٩٩.

(٣) روح المعاني، الألوسي، ١٠/ ٧٢.

قالوا: ﴿أَقْرَرْنَا﴾، فقال الله للنبيين: ﴿فَاشْهَدُوا﴾ أنتم على أنفسكم وعلى أتباعكم»[1].

وقيل: «عهد إليهم في محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به.

قال مالك بن الصيف: والله ما عهد إلينا عهدًا في محمد، فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠]»[2].

٦. التدليس في كتابة الكتب السماوية:

ومثاله قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ۝٧٩﴾ [البقرة: ٧٩].

أي: «يكتبون الكتاب أي: المحرف، أو ما كتبوه من التأويلات الزائغة بأيديهم، فإن نسبة المحرف والتأويل الزائغ إلى الله سبحانه صريحًا أشد شناعة من نفس التحريف والتأويل؛ ليشتروا به أي: يأخذوا لأنفسهم بمقابلته ثمنًا، هو ما أخذوه من الرشا بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتأويل»[3].

وهذا تدليس على الكتب السماوية وإلحاد واضح عن الحق النازل من عند الله، ومنها:

- تعطيل أحكام الكتب: الاحتكام إلى غير كتاب الله هو إلحاد وزيغ وميل عن كتب الله، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. «أي: ولا تستبدلوا بأحكامي التي أنزلتها، الرشوة والجاه، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ مستهينًا به منكرًا له ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾؛ لاستهانتهم به وتمردهم بأن حكموا بغيره، ولذلك وصفهم بقوله: ﴿الْكَافِرُونَ﴾ و﴿الظَّالِمُونَ﴾ و﴿الْفَاسِقُونَ﴾»[4].
- لي اللسان بالآيات: بإدخالهم في الكتب ما ليس منها، ولي اللسان بالآيات؛ لتحريفها عن معناها الصحيح؛ إلحادًا في كتاب الله. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران: ٧٨]. «﴿يَلْوُونَ﴾ على التكثير، إذا أماله، ومنه والمعنى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ ويعدلون به عن القصد، وأصل اللي: الميل، لوى بيده، ولوى برأسه.

(١) الوسيط، الواحدي، ١/ ٤٥٨.
(٢) معالم التنزيل، البغوي، ١/ ١٤٦.
(٣) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ١/ ١٢٠.
(٤) أنوار التنزيل، البيضاوي، ٢/ ١٢٨.

Made searchable using ScribeTools.com

قوله تعالى: ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ [النساء: ٤٦]. أي: عنادًا عن الحق، وميل عنه إلى غيره»(١).

ثالثًا: إلحاد الفرق الضالة في كتاب الله:

ومن صور إلحاد الفرق الضالة التأويل المنحرف لآيات القرآن.

ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠].

أي: «ينحرفون في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة»(٢)، ويلحدون في الآيات أي: «يميلون عن الحق، فيضعون الكلام في غير موضعه، ويحرفون كلام الله وآياته الدالة على قدرته وحكمته، لا يخفون علينا، سنجازيهم بما يعملون بالعقوبة والنكال، وفي هذا تهديد شديد ووعيد أكيد، يقتضي الحذر والخوف»(٣)؛ لذا فضحهم الله في إلحادهم وهددهم بالوعيد لهم.

ثالثًا: الإلحاد في الحرم:

يعد الحرم المكي من أعظم الأماكن حرمة وتعظيمًا عند الله تعالى.

قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧].

وبارك في هذا البيت، وجعل في آيات للناس، فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧].

وجعل مكة كلها حرمًا آمنا تعظيمًا للبيت الحرام، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [النمل: ٩١].

«﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أي: الذي إنما صارت حرامًا شرعًا وقدرًا بتحريمه لها، وعن ابن عباسٍ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: (**إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرامٌ بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها**)(٤)»(٥).

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ [القصص: ٥٧].

أتاح الله لهم بلدًا هو حرم آمن يكونون

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤/ ١٢١.
(٢) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الإبياري، ١١/ ١٢٣.
(٣) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٤/ ٢٤٠.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، إلا لمنشدٍ على الدوام، ٢/ ٩٨٦، رقم ١٣٥٣.
(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/ ١٩٦.

فيه آمنين من العدو»[1]، ولقد كانت قريش تسافر وتتاجر في الأرض وهي آمنة لانتسابها للحرم المكي.

ومن صور الإلحاد في الحرم:

١. قتل الصيد في الحرم:

نهى القرآن الكريم عن الصيد في الحرم وحال الإحرام، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞ﴾[المائدة: ٩٥].

وقال: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗا﴾[المائدة: ٩٦].

وقتل الصيد في الحرم إلحاد فيه؛ لأنه هتك لحرمة الحرم.

٢. الصد عن المسجد الحرام:

الصد عن المسجد الحرام إلحاد فيه، لذا حذر الله من الصد عن الحرم، بصد الناس ومنعهم من الصلاة فيه أو الحج إليه.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[الحج: ٢٥].

وقد عاب الله على أهل مكة بمنعهم النبي صلى الله عليه وسلم والصحب الكرام من أداء العمرة ودخول البيت يوم الحديبية فقال: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ [الفتح: ٢٥].

«يعني كفار مكة، ومعنى صدهم عن المسجد الحرام: أنهم منعوهم أن يطوفوا به ويحلوا عن عمرتهم»[2]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾[البقرة: ١١٤].

والمراد هنا «هم المشركون حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت يوم الحديبية»[3].

٣. اقتراف المعاصي في الحرم أو الهم بها:

اقتراف المعاصي الصغيرة أو الكبيرة في الحرم أو إرادة المعصية والهم بها في الحرم هي إلحاد في الحرم وانتهاك لحرمته وعظمته؛ لذا قال تعالى عن الإلحاد والهم به في البيت الحرام: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الحج: ٢٥].

أي: «عادلًا عن القصد والاستقامة، ظالمًا، أو يهم فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار، عامدًا قاصدًا، وهو من خصوصية الحرم»[4].

وقيل: «﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ﴾ الانحراف والميل نحو الظلم والبغي»[5]، والإلحاد

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٠/ ١٤٨.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ٥/ ٧٦.

(٣) المصدر السابق، ١/ ٢٠٥.

(٤) التفسير المنير، الزحيلي، ١٧/ ١٨٨.

(٥) التفسير الحديث، دروزة، ٦/ ٢٣.

Made searchable using ScribeTools.com

بمعنى: «المعاصي الكبار»[1]، والمقصد بالإلحاد هنا: «الظلم يجمع جميع المعاصي من الكفر إلى الصغائر، فلعظم حرمة المكان توعد الله تعالى على النية السيئة فيه»[2].

ومعلوم عند المسلمين أن المعصية تعظم في الحرم كما أن الأعمال الصالحة تعظم ويضاعف ثوابها لبركة المكان وعظمته وحرمته.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/ ٤١١.
(٢) التفسير المنير، الزحيلي، ١٧/ ١٨٩.

أسباب الإلحاد

سلوك الخلق الإلحاد في الدين عمومًا له أسباب عديدة، وهو سلوك مخالف ومناف للفطرة السليمة، ولا يسلك طريق الإلحاد إلا منحرف عقليًا أو قلبيًا، وأسباب الإلحاد متعددة، ومن هذه الأسباب:

أولًا: الجحود:

والجحود يقوم على رفض الإيمان بالرسل، ونكران الآيات التي جاءوا بها، مع علمهم بصدق الرسل.

قال تعالى عن قوم عاد: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩].

«جحودهم بآيات ربهم، وعصيان رسله. واتباع أمر الجبارين من عبيده»[3].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

ثانيًا: الظلم والعلو:

الظلم انتقاص للحقوق، والعلو التكبر.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝١٣ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٣-١٤].

«أي: ظالمين عالين، أي: الحامل لهم

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٤٤.

على ذلك الظلم والعلو، أي: جحدوا بها جحودًا ظلمًا وعلوًّا»[1].

وإلحادهم انتقاص من الآيات وتكبر عليها، رغم وضوحها وبيانها.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٥٣].

أي: «إصرارًا منهم على الكفر»[2].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

«روي أن الوليد بن المغيرة كان يقول: لو كان ما يقوله محمد حقًّا لنزل علي أو على أبي مسعود! فقال الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾[الزخرف: ٣٢]. يعني: النبوة فيضعونها حيث شاءوا»[3].

وهذا من مرض الكبر في قلب الوليد وظلمه وعلوه، وهو الذي قاده للإلحاد.

رابعًا: الجهل:

عدم المعرفة وسوء التقدير، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

«إنكم أيها القوم قوم تجهلون عظمة الله وواجب حقه عليكم، ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشيء سوى الله الذي له ملك السماوات والأرض»[4]، فالذي حملهم على الإلحاد جهلهم بالله تعالى.

خامسًا: الغلو:

تجاوز الحدود المبالغ فيه، أو الإهمال والتقصير في المطلوب، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

«أي: في دينكم المخالف للحق، وذلك أنهم خالفوا الحق في دينهم، ثم غلوا فيه بالإصرار عليه»[5].

والغلو: هو التنطع في الدين، والإفراط والتفريط به.

سادسًا: الحقد والكراهية:

وهي أمراض قلبية تشتمل على الغل والبغض، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

أي: «من بعد ما تبين أن محمدًا رسول

(١) فتح القدير، الشوكاني، ٤/ ١٨٣.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩/ ٥١.
(٣) المصدر السابق، ١٦/ ٨٣.
(٤) جامع البيان، الطبري، ١٣/ ٨٠.
(٥) الوسيط، الواحدي، ٢/ ٢١٤.

Made searchable using ScribeTools.com

الله، يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، فكفروا به حسدًا وبغيًا، إذ كان من غيرهم»[(١)]، وحقدهم يهدف إلى حرف المؤمنين عن طريق الله وزوال نعم الإيمان عنهم، ومماثلتهم لليهود في إلحادهم.

سابعًا: المرض القلبي:

ليس المقصد هنا المرض العضوي، وإنما المرض المعنوي، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨].

«قالوا: قلوبنا في أكنة وأغطية وغلف»[(٢)]، وكأن الإلحاد مرض قلبي يجعل على قلوبهم غشاوة تحجب عنهم الإيمان.

ثامنًا: الإلحاد بالتضليل:

التضليل حمل الناس على الباطل، وهنا أمرهم بالتسوية بين الله والأصنام وهذا من الإلحاد.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الشعراء: ٩٨-٩٩].

«والمراد بالمجرمين الذين أضلوهم: رؤساؤهم وكبراؤهم»[(٣)]، حيث أمروهم وأضلوهم بالتسوية بين آلهتهم ورب العالمين؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

أي: «يعدلون بربهم الأوثان أي: يسوونها به سبحانه»[(٤)]، وتسويتهم بين الله وأصنامهم وعدلهم به، إلحاد ضلوا وأضلوا غيرهم به بما كان يمليه عليهم المجرمون الملحدون بالتسوية بين الله وأصنامهم.

تاسعًا: العداء لله تعالى وملائكته ورسله:

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

«أراد بعداوة الله مخالفته عنادًا، أو معاداة المقربين من عباده»[(٥)].

فالملحد عدو لله ولملائكته ورسله؛ لكفره بهم ولعداوته لهم.

والقرآن الكريم بهذه الأسباب يوجهنا إلى ضرورة تفقد القلوب من الأمراض القلبية؛ كالجحود والظلم والعلو والكبر وغيرها؛ لأنها تقود إلى الإلحاد والانحراف عن المنهج المستقيم، وعلاجها الاستشفاء بالقرآن الهادي بآياته ودلائله إلى الإيمان والتوحيد، وعدم اتباع الهوى والشهوات؛ لأنها مفسدة تؤدي إلى الإلحاد، والسلامة والنجاة من الإلحاد تكون باتباع هدي النبي

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٢٦٥.
(٢) جامع البيان، الطبري، ٢/ ٣٢٤.
(٣) الكشاف، الزمخشري، ٣/ ٣٢٢.
(٤) أنوار التنزيل، البيضاوي، ٢/ ١٥٣.
(٥) المصدر السابق، ١/ ٩٦.

صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عند الله.

فالهداية والرشاد والإيمان نعم من الله تعالى توجب الحمد والثناء على الله؛ لحفظه المؤمنين من الإلحاد الذي يكدر صفو حياتهم، وجعلهم يحيون بنور الإيمان.

منهج القرآن في إبطال الإلحاد

اتبع القرآن الكريم العديد من المناهج والأساليب المتنوعة في إبطال الإلحاد، وإيراد الأدلة والبراهين؛ لدحض الإلحاد، والرد على المنكرين لوجود الله، ومن هذه المناهج:

أولًا: الحوار الإقناعي:

وهو المحاجة بالتي هي أحسن من خلال ذكر الدليل بموضوعية وعقلانية؛ لإقامة الحجة على الملحدين، وقد ورد في القرآن الكريم العديد من صور المحاجة بين أنبياء الله وأقوامهم ومعانديهم.

ومنها حوار إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣].

وقد قص القرآن حجج إبراهيم في مواضع أخرى، فقال تعالى عن حوار إبراهيم مع النمرود وإقامة الحجة عليه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وحوار إبراهيم مع أبيه وقومه قال تعالى:

Made searchable using ScribeTools.com

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٦٩-٧٤].

وقال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٢-٦٧].

فبالرغم من بيان الدليل ألحدوا وكفروا، وهذا من منهج القرآن في مواجهة الإلحاد وإبطاله بالحوار الإقناعي للطرف الملحد بإبراز الأدلة والبراهين وإقامة الحجة عبر الحوار.

ومنه حوار موسى مع فرعون وإلجامه بالدليل والبرهان.

قال تعالى عنه: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ٢٥ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢٨ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ٢٩ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ٣٠ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣١ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣-٣٣].

فالحوار أحد أساليب القرآن لإبطال الإلحاد الفكري، ويكون بالحوار الفكري والمنطقي والعلمي.

ثانيًا: إيراد الأدلة والبراهين:

ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات القرآنية التي تحمل الدليل والبرهان الساطع على إفراد الله وتوحيده، والرد على الملحدين في ألوهيته، ونفي الولد عنه، وفساد الكون في حال كان فيه شركاء.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

«أي: لو قدر تعدد الآلهة لانفرد كل منهم بما خلق، فما كان ينتظم الوجود، والمشاهد أن الوجود منتظم متسق كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض في غاية الكمال»(١).

وقال تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/ ٤٢٧.

﴿يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١، ٢٢].

«وهكذا الحق يصرف لنا الأمثال ويوضحها؛ ليجلي هذه الحقيقة بالعقل وبالنقل: لا إله إلا الله، واتخاذ آلهة معه سبحانه أمر باطل، وبذلك يرد على الذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل من قالوا: العزير ابن الله أو المسيح ابن الله، أو اتخذوا الملائكة آلهة من دون الله»(١).

وهذا من منهج القرآن في رد الإلحاد وإبطاله بإيراد الأدلة والبراهين الساطعة على الملحدين.

ثالثًا: التحدي والإعجاز:

لقد تحدى القرآن الكريم الخلق جميعًا على معارضة القرآن أو الإتيان بمثله أو بعضه فعجزوا، وهذا التحدي المستمر والباقي هو أحد أساليب القرآن في الرد على الملحدين في كل زمان وفي أي مكان.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣-١٤].

أي: «لقد تحداهم بأن يأتوا أولًا بمثل القرآن، فلم يستطيعوا، ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور، فلم يستطيعوا، وتحداهم بأن يأتوا بسورة، ثم تحدى أن يأتوا ولو بحديث مثله، فلم يستطيعوا، وهنا جاء الحق سبحانه بالمرحلة الثانية من التحدي، وهو أن يأتوا بعشر سور»(٢).

ومثاله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

هذا مثل؛ لبيان عجزهم عن خلق الذباب، والامتناع عما يفعل بهم وعجزهم إن أخذ الذباب منهم شيئًا ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ مع غاية ضعفه، ولقد جهلوا في إشراكهم بالله القادر على جميع المقدورات المنفرد بإيجاد كافة الموجودات، والتماثيل هي أعجز الأشياء قدرة على الخلق، وتعجز عن ذب الذباب عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه منها(٣).

عجز الخلق عن التحدي القرآني لهم،

(١) تفسير الشعراوي، ١/ ٥٨٤٢.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٤١٥٣.

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٦/ ١٢١.

Made searchable using ScribeTools.com

من أهم صور إبطال الإلحاد، واستمرارية هذا التحدي، وهذا الإعجاز يرد كيد الملحدين إلى نحورهم.

رابعًا: الدعوة إلى التوحيد:

الدعوة إلى الله من أهم أساليب القرآن في هداية الخلق إلى ربهم وإبعادهم عن الإلحاد، لما في الدعوة إلى الله من إنارة الطريق أمام المدعوين للدخول في رياض الإيمان، ومنهج القرآن هو دعوة المشركين عمومًا إلى التوحيد والعبادة، وتجديد الدعوة إلى الإيمان لأهل الكتاب.

ومثاله قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

فالدعوة إلى الله منهج قرآني أصيل في إبطال الإلحاد، وسبيل سار عليه الأنبياء في هداية أتباعهم وإقامة الحجة عليهم يوم القيامة.

خامسًا: ضرب الأمثال:

تعتبر الأمثال من أبرز صور التقريب للأذهان التي سلكها وانتهجها القرآن الكريم في إقناع الخلق، والرد على الملحدين في شبهاتهم وانحرافهم عن الطريق المستقيم.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٣٩-٤٠].

«هذا إبراز لأعمال الكفار وعاقبتها؛ لعدم فعلها إيمانًا بالله، فهو تمثيل حال الذين كفروا في أعمالهم التي يعملونها وهم غير مؤمنين بحال من ركب البحر يرجو بلوغ غاية، فإذا هو في ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض لا يهتدي معها طريقًا، وهذا التمثيل من قبيل تشبيه حالة معقولة بحالة محسوسة»(١).

هذه بعض أساليب ووسائل القرآن في علاج وإبطال الإلحاد والرد عليه كمنهج قرآني أصيل في توجيه العباد لما يصلح حالهم ويردهم للصواب، ومن أعرض فقد رد حجة الله وبالغ في إلحاده وإعراضه عن المنهج القويم الذي جاء به المرسلون.

وهذه الأساليب في منهج القرآن في الرد على الإلحاد وإبطاله ترسم لنا الطريق وتهدينا إلى الإقبال على القرآن بقلب مفتوح دون حكم مسبق، والاستفادة من تعدد

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٨/ ٢٥٥.

أساليب القرآن في إبطال الإلحاد والرد على شبهات الملحدين، ووضع الحلول لما أصاب قلوبهم من أمراض، وما أصاب عقولهم من اللوثة الفكرية، فالله خلق الناس على الفطرة السوية، والإلحاد مكتسب يمكن علاجه بالدعوة إلى الله.

آثار الإلحاد على الفرد والمجتمع

للإلحاد آثار ضارة على حياة الفرد والمجتمع لما فيه من الانحراف والزيغ عن الفطرة السوية السليمة، والخير والمنفعة لا تكون إلا بالالتزام بدين الله وتوحيده وعبادته كما أمر، وعدم العدول عنها، فإذا ما عدل الإنسان عنها فسدت دنياه وآخرته:

أولًا: أثر الإلحاد على الفرد:

إن انعكاس الإلحاد وأثره على الفرد سيء في حياته ونفسه ومعيشته، ومن آثار الإلحاد على الفرد:

١ . ضنك العيش.

توعد الله المعرض عنه والملحد في دينه بنكد العيش وصعوبة الحياة وشدتها عليه، كأثر لإلحاده وإعراضه عن منهج ربه.

فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

«المعيشة الضنك: أن تضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدي لشيء منها، وله معيشة حرام يركض فيها»[(١)].

٢ . ضيق الصدر.

المؤمن منشرح الصدر بإيمانه، والضال تضيق الدنيا عليه بسعتها وتضيق عليه نفسه

(١) زاد المسير، ابن الجوزي، ٣/ ١٨١.

Made searchable using ScribeTools.com

بسبب كفره وضلاله وإلحاده.

قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

أي: «إن الله يشرح صدر المؤمن لقبول الإيمان وأنواره، فيؤمن ويسلم ويحسن فيكمل ويسعد، ومن طلب الغواية ورغب فيها، هيأ له أسبابها وفتح له بابها، فجعل صدره ضيقًا حرجًا لا يتسع لقبول الإيمان، فكأنه يتكلف الصعود إلى السماء، وهذه سنته في الهداية والإضلال»[1].

والإلحاد ينعكس على الملحد بضيق الصدر والقلق والاضطراب في الحياة بسبب فقدان الإيمان.

٣. الختم على الحواس.

الملحد يطبع الله على حواسه ويختم عليها، فلا يفقه ولا يبصر ولا يسمع بسبب جحوده وزيغه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

أي: «﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ دلائل قدرة الله، بصر عظة واعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ أولئك كالأنعام في عدم الفهم والبصر والاعتبار ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من الأنعام»[2].

والملحد لا يستشعر قدرة الخالق الموجودة والمبثوثة في صفحات الكون بسبب فقدان حواسه لها، فلا يرى دلائل قدرة الله، ولا يتنبه لما يسمع من آيات الله؛ ليهتدي به، فقلبه مطبوع عليه بسبب كفره وإلحاده.

٤. الضلال والشقاء.

الضلال والشقاء قرينان لا ينفكان عن بعضهما، فالملحد ينعكس عليه إلحاده بالضلال والشقاء فلا يهتدي، كما قال تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

وسبب الضلال وعدم الهداية هو الإلحاد في الألوهية، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦].

فالملحد غير مهتدٍ للحق والإيمان، فهو

(١) أيسر التفاسير، الجزائري، ٢/ ١١٧.

(٢) التفسير المنير، الزحيلي، ٩/ ١٦٦.

مخلوق ضال وشقي.

٥. الحيرة والتردد والاضطراب.

المؤمن يعرف طريقه ولا يحيد عنها، فهو يؤمن بربه النافع الضار بيده كل شيء فهو يركن لربه، أما الملحد فلا هدف له إلا شهواته، مما يجعله حيران وتائه ولا ركن له.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

«أنعود إلى الكفر والشرك والضلال بعد الإسلام والهدى والنور؟ أنعود إلى ملة الكفر بعد إذ هدانا الله، ووفقنا إلى صراط مستقيم، وإننا إذا فعلنا ذلك كنا ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ وذهبت بعقله، وأطارت صوابه ولبه، وأصبح ﴿حَيْرَانَ﴾ تائهًا لا يدري كيف يسير»[1]، فمن يدعو غير الله فهو ملحد، فهو يركن لمن لا يملك له ضر ولا نفع، فيبقى حيران مضطربًا لا مرشد له.

٦. التخبط في الحياة.

المؤمن بالله يعيش في حياة نورانية، يسير فيها بخطى ثابتة، والملحد يتخبط في ظلمات الإلحاد والانحراف، ولا يستطيع الخروج منها، فهو لا يشبع من حطام الدنيا.

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

« ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ بالكفر فأحييناه بالهدى، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ يتبصر به الحق من غيره وهو الإيمان، ﴿كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ وهو الكافر، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ زين للمؤمنين الإيمان كما ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي»[2].

إن الملحد هو ضال كافر وشقي، وإن إلحاده يعود عليه بضنك العيش والتخبط والتردد والاضطراب وعدم الهداية؛ لطمس آلة الاستقبال عنده المتمثلة في حواسه، والتي أبطل الإلحاد الإدراك بها، والاستجابة لها بما يصلح حاله.

ثانيًا: أثر الإلحاد على المجتمع:

أثر الإلحاد على المجتمع خطير جدًا، يؤدي إلى فساده ودماره وإهلاكه، ومن هذه الآثار:

١. ضياع الحقوق.

الإلحاد في الحاكمية بتحكيم غير شرع

(١) التفسير الواضح، الحجازي، ١/ ٦٢٩.

(٢) التفسير المنير، الزحيلي، ٨/ ٢٧.

Made searchable using ScribeTools.com

الله يضيع الحقوق بين المخلوقين ويفسد قضاءهم.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

أي: «﴿وَتُدْلُواْ﴾ تلقوا بالأموال إلى الحكام رشوة؛ للوصول إلى الحكم القضائي لصالحكم بالإثم، أي: الظلم والتعدي: وهو شهادة الزور أو اليمين الكاذبة الفاجرة أو نحوها»(١).

٢. فساد الحياة.

الملحدون يفسدون حياة المجتمع.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

وبفسادهم يستحقون فساد حياتهم، فالجزاء من جنس العمل.

قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣٣].

٣. تمزق المجتمع.

التمسك بكتاب الله يجمع الصف ويوحد المجتمع، والبعد عن منهج الله والإلحاد فيه يمزق المجتمع.

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فعدم التمسك بحبل الله يقود إلى تمزيق المجتمع وتفرقه، والقرآن حبل الله لعباده في الأرض، نكران الاعتصام بحبل الله إلحاد في كتابه.

٤. الصغار والذل.

العزة والكرامة منحهما الله للمؤمنين أهل التقوى والصلاح، والذل والصغار جعلهما للعصاة والملحدين.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

أي: «في الآيات تقرير لمظهر من مظاهر النظام الذي أقام الله عليه الاجتماع البشري، وهو وجود زعماء ماكرين مجرمين في كل بيئة، دأبهم الكيد والمكر والوقوف من رسل الله ودعاة الخير موقف التعطيل والعناد، فإذا جاءتهم آية كابروا، والآية فيها إنذار قاصم بأن الماكرين المجرمين سيصيبهم

(١) المصدر السابق، ٢/ ١٦٣.

هوان وذلة عند الله»[1].

فالمجتمع الملحد بما أرسل به الرسل، والتنكر لهم وعدم الإيمان بهم كرسل من عند الله، ميلًا عن الحق الذي أكرمهم الله به، فإنه يجلب الصغار والذل والهوان لأفراده.

٥. هلاك المجتمع.

الهلاك نتيجة حتمية؛ لفساد المجتمع وإلحاده وكفره، فالله لا يصلح عمل المفسدين، فإذا ما كفر الناس وظلموا وقع بهم الهلاك.

لذا قال تعالى: ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٠-١٣١].

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾[الكهف: ٥٩].

«فلا يغرنهم إمهال الله لهم، فإن موعدهم بعد ذلك آتٍ»[2]، فإهلاك القرى يأتي بسبب ظلمهم، والملحد ظالم لربه لما ينتقصه من حقه سبحانه، فالمجتمع الملحد الظالم يقود المجتمع إلى الهلاك.

٦. زوال النعمة.

من تمام نعمة الله وفضله أنه لا يسلب قومًا نعمة أنعمها عليهم حتى يلحدوا في نعمه ودينه.

وضرب الله سبأ مثلًا لذلك، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٥-١٧].

«لما ذكر سبحانه حال بعض الشاكرين لنعمه عقبه بحال الجاحدين لها، فلما وقع منهم الإعراض عن شكر النعمة أرسل الله عليهم نقمة سلب بها ما أنعم به عليهم»[3].

٧. حرمانهم من البيت الحرام.

حرم الله على المشركين دخول الحرم لنجاستهم، فبسبب شركهم وإلحادهم حرم عليهم دخول الحرم حتى يسلموا.

فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[التوبة: ٢٨].

بمعنى: «فلا يدخلوا الحرم، أطلق المسجد الحرام وقصد به الحرم كله، وقيل:

(١) التفسير الحديث، دروزة، ٤/ ١٥٣.
(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٢٧٦.
(٣) فتح القدير، الشوكاني، ٤/ ٣٦٧.

Made searchable using ScribeTools.com

المراد المنع عن الحج والعمرة، أي: لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا»[1].

٨. حرمانهم من دخول الجنة.

من أعظم انعكاسات الإلحاد والتكذيب بآيات الله حرمان الملحدين والمجرمين من دخول الجنة يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠].

٩. فتنة المجتمع.

الإلحاد وتنوعه واختلافه يشتت المجتمع ويشعل فيه نار الفتنة ويعرضه للعذاب.

قال تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

«فليحذر المخالفون عن أمر الله، أو أمر رسوله، أو أمرهما جميعًا، إصابة فتنة لهم، والفتنة هنا: غير مقيدة بنوع من أنواع الفتن، وقيل: هي القتل، وقيل: الزلازل، وقيل: تسلط سلطان جائر عليهم، وقيل: الطبع على قلوبهم»[2].

إن آثار الإلحاد على الإنسان والمجتمع مدمرة، أما الإيمان فهو حماية للفرد والمجتمع من كدر الحياة وضنك العيش، فالمؤمن المهتدي حي بنور الإيمان، والملحد الكافر ميت يعيش في الظلمات ولا يستطيع الخروج منها، فالإلحاد يفسد حياة الأفراد والجماعات، لما فيه من الزيغ والميل والعوج.

موضوعات ذات صلة:
أسماء الله، الإيمان، التوحيد، الشرك، صفات الله، مكة

(١) صفوة التفاسير، الصابوني، ١/ ٤٩٢.
(٢) فتح القدير، الشوكاني، ٤/ ٦٨.